

## عندما ترد الفئات المستهدفة: في موقع تقاطع الإثنوجرافيا البصرية والصحة الجنسية للمراهقين

بقلم: إيريك نلسون،<sup>(أ)</sup> وديلان هوويت<sup>(ب)</sup>

(أ) زميلة في أبحاث ما بعد الدكتوراه، جامعة امستردام AISSR وأقسام الأنثروبولوجيا الطبية، مشروع CERCA، أمستردام، هولندا، المراسلات: erica.marie.nelson@gmail.com.

(ب) منتجة مشاركة، مديرة مشاركة، مدير تحرير، كاميرا Camera

### ترجمة: شهربت العالم

هذا تقرير قدمته الكاتبة الأولى حول صنع اثنين من أفلام الفيديو حول الصحة الجنسية للمراهقين في الإكوادور في عامي ٢٠١١ و٢٠١٢.

وهكذا، اخترت ديلان هوويت - وهي مخرجة ذات خبرة في الأفلام الوثائقية - لتصوير المنظر المحلي في هذه الأزمة المدركة في الصحة الجنسية والإيجابية للمراهقين. وفي الفيلم، اتخذنا نهجاً استكشافياً ومرجلاً تاركين إجابات الباحثين توجه عملية صناعة الفيلم. لقد شرحنا للمشاركين في الفيلم أننا سنتقاسم العمل الناتج مع أعضاء مشروع «سيركا»<sup>\*</sup>، بمدينة كوينكا ومقاطعة أزواي (وربما على المستوى الوطني)، وسنشره على موقع يوتيوب. ونستخدمه في العروض المستقبلية لعمل «مشروع «سيركا» بالمؤتمرات وفي المقالات. وطلبنا من الجميع التحلي بالصدق قدر الإمكان. نظرًا لأن هذه الأفلام يمكن أن تساعد في الإخبار عن حالة النشاط الجنسي للمراهقين والتثقيف الصحي ومشاريع التوعية الصحية في المنطقة، مع أمل في تحسينها. وفي المقابل، بقينا صادقين قدر الإمكان تجاه المواقف المتناقضة والتضليل حول هذه القضايا، التي شارك فيها الناس في المقابلات أمام الكاميرا، بدلاً من تحرير المواد لتعكس «أفضل الممارسات»، على سبيل المثال. عند الإشارة إلى العدوى المنقولة جنسياً (كأمراض).

\* «الصحة الإيجابية للمراهقين بالمجتمعات المحلية في أمريكا اللاتينية www.proyectocerca.org

عندما وصلت للمرة الأولى إلى كوينكا، في الإكوادور، لأبدأ العمل الميداني الإثنوجرافي كجزء من مشروع الصحة الجنسية والإيجابية للمراهقين، أكد لي زملائي في كلية الطب بجامعة كوينكا أن الحديث عن الجنس مع الشباب، وأبائهم، أو أي شخص آخر في هذه المدينة الكاثوليكية، في أغلبها، سيكون عسيراً. وعندما اقترحت الحديث مع أحد سكان كوينكا حول هذه القضايا أمام الكاميرا، قال لي أحد الباحثين المساعدين إنني مجنونة. بيد أن خبرتي خلال هذه الأشهر الأولى من العمل الميداني ضمت أحاديثي مع أهل كوينكا من جميع الأعمار حول آرائهم وأفكارهم عن الحالة الراهنة للتثقيف في مجال الصحة الجنسية والإيجابية والخدمات للمراهقين، فضلاً عن تحليلات لمجموعة متنوعة من المحرمات الثقافية حول الجنس والحياة الجنسية، فهذا بلد، قبل أي شيء، ترتفع فيه معدلات الحمل بين المراهقات إلى ما يزيد على المتوسط (١٠٠ ولادة لكل ١٠٠٠ امرأة تتراوح أعمارهن بين ١٥-١٩ سنة)<sup>(١)</sup> أكثر من أي مكان آخر في العالم، ما عدا أفريقيا جنوب الصحراء. كما أنه بلد ارتفعت فيه نسبة الحمل بين المراهقات خلال العقدتين الأخيرين، على عكس بلدان أخرى في المنطقة، من ١٤,٤٣٪ من جميع الولادات في عام ١٩٨٩ إلى ٢٠,٣٤٪ في عام ٢٠٠٩.<sup>(٢)</sup>



إيركا نلسون

مشاهدة فيلم «الأجيال الثلاثة» في نادي المسنين في تشيكويبتاد.

كوينكا، وطلاب اللغة الإنجليزية، الذين التقينا بهم في الشارع. وحدثوا أمام الكاميرا في مقابلات معنا. وشقيق أحد المعارف.

### الأجيال الثلاثة

فيلم تم تصويره في تشيكويبتاد، الإكوادور، مايو-يوليو ٢٠١٢

<https://vimeo.com/61224125>

شكل الفيلم الثاني، بعنوان «الأجيال الثلاثة»، جزءاً من البحث الإثنوجرافي المتعمق الذي قمت به لأكثر من خمسة أشهر في عام ٢٠١٢ في أبرشية شبه ريفية في تشيكويبتاد (عدد السكان ٤,٠٧٣)<sup>(١)</sup>. ويُعد واحداً من مواقع التدخل الثلاثة لمشروع «سيركا» في كوينكا. كان هذا الفيلم يتطلب إجراء مقابلات متعمقة وتصوير قصدي على مدى الشهرين

### أصوات من كوينكا

فيلم تم تصويره في كوينكا، الإكوادور، مارس ٢٠١١  
<https://www.youtube.com/watch?v=L8o0kFfUddy>

كان الفيلم الأول - بعنوان «أصوات من كوينكا» - يستهدف إعطاء الشباب فرصة للتحدث مباشرة إلى أولئك المسؤولين عن إعداد استراتيجيات التدخل في مجال الصحة الجنسية والإيجابية للمراهقين في كوينكا. (مثل زملائي في مشروع «سيركا»، وهو تدخل بحثي يمول من الاتحاد الأوروبي (FPV)، بالإضافة إلى المنظمات غير الحكومية، ومثلي إدارات التعليم والصحة في البلديات والإقاليم. الأصوات التي نسمعها تشمل المراهقين المشاركين في الحلقة البحثية الإثنوجرافية، التي توليت إدارتها، وبالغين الشباب الذين تلقوا تدريباً في مجال الصحة الجنسية والإيجابية، والمراهقين بمشروع موله سابقاً IPPF في

كوينا.

ولا نقصد بالشخصيات الثلاث التي تظهر في الفيديو (الجدة، الأم، الابنة) أنهن «أنماطاً» تمثيلية، لكن قصصهن تقدم بعض التبصر في التحول الجذري للمواقف والعارف في مجال الصحة الجنسية والإيجابية على مدى فترة تمتد ٤٠ سنة. وعلى الرغم من أن ثلاثتهن لا يعشن في تشيكويبتاد، فإنهن جميعاً يرتبطن ارتباطاً وثيقاً بهذا المكان. ترعرعت دونا روزا اسبيرانزا ألفارادو أوكويليما في منزل يبعد عن الساحة المركزية بمجموعة واحدة من المباني. تركت المدرسة في سن التاسعة بسبب إصابتها بالحمى الروماتيزمية. ثم ساعدت والدتها في تربية أخواتها التسع الأصغر سناً. الشخصية الثانية هي سونيا استوديلو، رئيسة مكتبة تشيكويبتاد العامة التي تتكون من غرفة واحدة، وتساعد في تنسيق أنشطة المجتمع المحلي مثل اللقاء الأسبوعي في نادي المسنين في قاعة الإبرشية. أما هيبوليتو كابريرا، فهي مشاركة نشطة في نوادي الشباب التابعة لمشروع «سيركا»، وملتحنة بمدرسة تشيكويبتاد الفنية العليا. وتسافر يومياً بالحافلة من حي يقع تقريباً في بقعة منتصف الطريق بين القرية والحديقة الصناعية في كوينكا. شاهدت المشاركات فيلم «الأجيال الثلاثة» الوثائقي، ووافقن على المحتوى (على الرغم من أن دونا اسبيرانزا اشتكت من أنها تبدو نحيفة جداً، حيث تم تصوير الفيلم بعد وفاة والدتها بشهور قليلة).

وعلى خلاف فيلم «أصوات من كوينكا»، الذي تم جمعيه بسرعة والمشاركة فيه على نحو غير رسمي، كان المقصود بفيلم «الأجيال الثلاثة» أن يكون أكثر تعبيراً. كانت الفكرة تكمن في تقديم سياق تاريخي وثقافي لمشروع للصحة العامة يستهدف تغيير طريقة حديث الأسر عن القضايا المتصلة بالصحة الجنسية والإيجابية للمراهقين. يعكس الفيلم اعتقادي بأنه للبدء في تغيير هذه الأحاديث اليومية حول السلوك المقبول والمتوقع للشباب. عندما يدخلون فترة الاستكشاف الجنسي، التي قد تؤدي إلى

الماضيين. ولذا اخترت المشاركين من بين أولئك الذي نمت بيني وبينهم علاقات وثيقة خلال عملي مع نادي المسنين في تشيكويبتاد. ومكتبة تشيكويبتاد، ومدرسة تشيكويبتاد الثانوية الفنية. ونظراً لأنني شهدت فائدة الإثنوجرافيا البصرية في تحفيز الحوار والمناقشة خلال فيلم «أصوات من كوينكا»، فقد جاء هذا الفيلم الوثائقي الثاني بمثابة نقطة انطلاق للمناقشات حول المحرمات الثقافية والجيلية المحيطة بالكلام عن وتقديم المشورة حول. الجنس والحياة الجنسية داخل الأسر.

تشيكويبتاد هو مكان للأمهات الشابات، والأجداد، والأطفال. والمراهقين (٤١٪ من السكان دون سن ١٨)، وهناك قلة قليلة من كبار السن الذكور (بسبب قيود الهجرة، وأساساً للولايات المتحدة). مستويات التعليم الرسمي متدنية (أكمل ١٧٪ فقط المدرسة الثانوية).<sup>(٣)</sup> كما أن صناعة نسيج قبعات بنما الشهيرة، التي تُستخدم لتوفير التدفق المالي لإعاشة المزارعين الذين يعيشون في الوادي، قد تقلصت حالياً إلى قدر ضئيل من دولارات السياح. أحد مصادر الفخر المتبقية، كما يمكن أن يخبرك أي مقيم هناك، هو فوز المرأة التشيكويبتادية ١٩ مرة بلقب «ملكة الجمال والثقافة». ومع ذلك، وفي الحياة اليومية، نجد أن النساء فقط اللاتي في الخمسينيات من أعمارهن، أو أكبر، هن من لا يزلن يرتدين التنورات الكاملة التقليدية، والبلوزات المطرزة، والقبعات المبيضة المنسوجة بإحكام من زي التشولا المحلي. لقد تحولت تشيكويبتاد، في غضون ثلاثة أجيال فقط، من قرية زراعية ريفية لا تضم أي مركز صحي أو مدرسة ثانوية، ومنازلها الريفية مصنوعة من الطوب اللين، ومصابة بالفقر الذي يعوقها، وخالية من وسائل المواصلات المباشرة إلى كوينكا، إلى مكان يقع عند حافة التحول نحو الحضر في كوينكا، يضم مدرسة فنية عليا، ومقاهي الإنترنت، ومنازل مصنوعة من الأسمنت والزجاج ومتعددة الطوابق، مبنية بالدولارات المكتسبة من الخارج. هذا بالإضافة إلى خدمة الحافلات كل خمس ساعات إلى وسط مدينة



إيركا، نلسون

أطفال إحدى المدارس في الإكوادور.

تم تصويره في بلد آخر، حيث كان محتواه مشابهًا لقصص حيواتهم. وفي ماناجوا، فوجئ المشاركون في المجموعة البورية بالحجم الكبير للأمور المشتركة بينهم وبين أسر تبعد عنهم آلاف الأميال. لا سيما الغياب التام للثقافة الجنسية أو المعرفة بموانع الحمل بين البالغين سن الأربعين وأكبر. واستجابة للفيلم، تحدث الناس (الشباب، والمسنون، والأعمار الوسيطة) بانفتاح حول المشورة التي قدمها لهم البالغون في الأسرة وأقرانهم حول الجنس وموانع الحمل؛ كما أقر مقدمو الرعاية الصحية بالصعوبات التي واجهوها عن حديثهم عن موانع الحمل أو السلوك الجنسي الصحي مع أطفالهم هم أنفسهم؛ وعزى الآباء والأمهات أنفسهم في ما يتعلق بالتحديات التي واجهتها سونيا. وصدمة اسبيرانزا كونها شاهدة

تصلب محتمل للأعراف المتعلقة بالنوع الاجتماعي، من المهم أن يعرفوا المزيد حول ما عاشته واختبرته بنفسها الأجيال السابقة.

خلال الأشهر الثلاثة الماضية، عرضت فيلم «الأجيال الثلاثة» على مجموعات مختلطة من الآباء والأجداد، والمراهقين، في جميع مواقع مشاريع «سيركا» الثلاثة (ماناجوا، نيكاراغوا، كوتشابامبا، بوليفيا، كوينكا، الإكوادور). وما يثير الدهشة، أن قدرة الفيلم على فتح محادثات حول طبيعة، والقيود المفروضة على التواصل داخل الأسر حول الجنس والحياة الجنسية كانت متساوية في المواقع الثلاثة. على الرغم من الاختلافات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية الكبيرة بين المجموعات، في كوتشابامبا، لم يصدق الآباء والأمهات والشباب أن الفيلم الوثائقي

خاصة بها. فعلى الرغم من إمكانية اختلافهم مع. أو التمرد على. المعايير والتوقعات الاجتماعية والثقافية لوالديهم وكبار السن. فإنهم يوجدون في عالم متعدد الأجيال. يتوقع منهم الكثير. ويُعتبر الفلمان. بطرق مختلفة. محاولة للوصول إلى الناس من جميع الأعمار الذين يعانون من ثغرات بين الأجيال. من أجل تحديد حد فاصل على الجانب الآخر.

### شكر وتقدير

يضم مشروع «سيركا» الشركاء التاليين: المجموعة الجنوبية، بوليفيا؛ جامعة كوينكا، إكوادور؛ جامعة كاواناس للطب، ليتوانيا؛ جامعة نيكاراجوا الوطنية المستقلة، نيكاراغوا؛ معهد أمريكا الوسطى للصحة، نيكاراغوا؛ جامعة أمستردام، هولندا. يتولى تنسيق المشروع: المركز الدولي للصحة الإيجابية، بلجيكا؛ ويجري تمويله عن طريق إطار *FPI* للجنة الأوروبية.

على عالم متغير. وبقى أمامنا أن نرى ما إذا كانت هذه الأفلام نفسها يمكن أن تخدم مشاريع أخرى للصحة الجنسية والإيجابية للمراهقين. توضح تجربة عرضي لهذه الأفلام في سياقات متميزة في أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية أنها قد تكون مفيدة للمُعلمين المراهقين ضمن سياق أمريكا اللاتينية والناطقين بالإسبانية في الولايات المتحدة. واستناداً إلى تجربتي، فإنني أشجع بقوة الأنصار ومسؤولي إعداد البرامج، في بقاع أخرى من العالم، على إدماج المناهج البصرية في جهودها في مجالي التثقيف والتوعية. وعلى الرغم من أن الفيلمين يتناولان أساساً واقع الحياة في منطقة سييراس جنوب الإكوادور خاصة، فإنهما يحتويان على رسالة ذات صلة، على قدم المساواة، للشباب وأسرهم في أي مكان في العالم. المراهقون ليسوا جماعة مستهدفة محتواة ذاتياً، أو تضم مجموعة من المعارف والمواقف والممارسات

### المراجع

1. UN Population Fund. State of the World's Population 2012. [www.unfpa.org/webdav/site/global/shared/documents/publications/2012/EN\\_SWOP2012\\_Re-](http://www.unfpa.org/webdav/site/global/shared/documents/publications/2012/EN_SWOP2012_Re-)

port\_1.pdf.

2. Instituto Nacional de Estadísticas y Censos. Censo de población y vivienda 2001.

3. Instituto Nacional de Estadísticas

y Censos, *ibid*, quoted in: Informe País: Proyecto CERCA, Universidad de Cuenca, February 2011.